الرمز والأسطورة في القصيدة الجزائرية المعاصرة
"نماذج من شعر عز الدين ميهوبي"

بورحلة مليكة

جامعة تيزي وزو

الملخص: الرمز إيحاء خصب قابل للتأويل و التفجير، و هو خاصية من خصائص النص الأدبي ، و لا قيمة له خارج السياق، أما الأسطورة فلا تخرج عن نطاق الشعائر الدينية و الطقوس البدائية ، و هي نتيجة اللاّوعي ، و قد وظف الشعراء رموزا متعددة مثل"سيزيف" بْرُومُوثيوس ، الخيّام ، " أوليس" و الحلاج .....

و في الأسطورة إيحاء و كثافة و جمال ، إنّها عودة إلى الموروث الشعبي، و التاريخي، و ما وظّفه الشاعر الجزائري عزّ الدين ميهوبي من الرّمزْ ذ كْرُهُ للأوراس كرمز للبطولة و القوّة و النضال الشموخ الدّائم، إضافة إلى رموز أخرى كاللّيل الذي يرمز إلى السّواد ، و الخوف، و القبر الذي يوحي بالوحدة والموت، و " أيّوب " رمز الصبر و المعاناة,

أمّا ما وظّفه من أسطورة فيكمن في " العنقاء " التي تمثّل الخوف ، و " البوم " التي توحي بالتشاؤم والأوساط الشعبية تفسر المواقف المفجعة، برؤية هذا الطائر ، يلجأ ميهوبي إلى إفراد ديوان كامل بعنوهن " طاسيليا " في شكل أسطورة، على منوال الإغريق و ميثولوجياتهم,

تتشكل أصوات أسطورية في النص، بحيث تظهر " طاسيليا "و هي المرأة التي يتصارع عليها " غيلاس " الرّاعي ، و " أترار " إله المطر الذي أرادها كقربان ليجود على نوميديا بالماء,

و في النّهاية ينتصر الحب، باعتبار أنّه مثل الماء أهميّة كما يتّضح، و تجسّد قصيدة " طاسيليا " صراعاً بين الحبّ والكراهية، و الموت و الحياة, القوة والضعف .

Abstract: The symbol is fertile, interpretable, and exploding . It is a characteristic of the literary text and has no value outside the context. However, the myth does not go beyond the scope of religious and primitive rites. It is the result of the unconscious. Poets have used different symbols such as Sisif, Bromothius, Al Khyam, Ulys and Al Hallaj. The myth represents an inspiration and beauty, it is a return to the historical and folk heritage of the people. The Algerian poet Azzedine Mihoubi employed the Aures as a symbol of power, heroism and eternal struggle, as well as other symbols such as the night symbolizing blackness and fear, and the grave symbolizes loneliness and death, and Ayyub symbol of patience and suffering. As for the myth of "phoenix", which represents fear, and owl bird which symbolizes pessimism and popularly the show up of the owl is concluded by tragic situations. Mihoubi devoted a whole collection of poems entitled Tassilya in a form of a myth following the Greek model of mythology. Legendary voices are formed in the text, showing "Tasiliya", the woman wrestling with "Gilas" the shepherd, and "Atarar" the god of rain, who wanted her as a sacrifice to feed on Numidia with water. In the end, love triumphs, as water is as important as it is. The poem "Tasilya" embodies a struggle between love and hate, death and life, power and weakness.

الرمز إيحاء خصب، قابل للتأويل والتفجير، ومن سمات النص الأدبي أن تتلاحم الصور فيه وتتراكم، لأن التجربة الشعورية لا يمكن التعبير عنها إلا بالصورة الرمزية[1]. ويلجأ الشاعر إلى التعبير بالرمز لأنه يعيش حالات نفسية معقدة، حيث تكون نفسيته عرضة لحالات فكرية وعاطفية بالغة التعقيد لا يمكن – أحيانا – تبسيطها، أو تحليلها ولا يتأنى التعبير عنها بالأسلوب المألوف فلا يعود أمام المبدع الا سبيل الصورة الرمزية، التي تثير في المتلقي حالات متشابهة عند تفاعله مع تلك الصورة بشكل مناسب.[2]

ولا قيمة للرمز خارج سياقه إنما يستمد أهميته وفاعليته وجماليته بإدخاله في تركيب معين، يكون ذا ارتباط وثيق بنفسية المبدع، فقيمة الرمز نابعة من سياقه، وبغيره يفقد طاقته الخلاقة.[3]

إذن للرمز إيحاءات نفسية ويهدف إلى تصوير بلاغي راق وجميل، حيث يسهم في نقل الحالات الشعورية المعقدة لدي المبدع، فهو يوحي ولا يصرح، يغمض ولا يوضح[4]، ويكتسب دلالاته من ذاته، بمعنى أنه لا يمكن استبداله[5]، والخاصية الحقيقية للتعبير بالرمز ليست هي الغموض أو السرية ولكنها الالتباس وتتنوع التفسيرات الممكنة حتى نجد معنى الرمز يتغير تغيرا مستمرا.[6]

وقد كثرت الصورة الرمزية في الشعر الجزائري المعاصر، ومن أمثلتها " الأوراس" في شعر عزالدين ميهوبي، الذي ذكره في معظم قصائده، ذلك الذي اتخذ منه رمزا للبطولات، واستحضر من خلاله الأمكنة التي خلدت النضال والثورة، حيث يقول[7] :

---

[1] محمد علي الكندي: (الرمز والقناع)في الشعر العربي الحديث ،ص31

[2] محمد علي الكندي: (الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث)،ص32

[3] بشرى موسى صالح: (الصورة الشعرية في النقد العربي)، الحديث ص101

[4] إبراهيم رماني: (الغموض في الشعر العربي الحديث)، وزارة الثقافة، الجزائر 2007 ،ص273

[5] إبراهيم رماني: (الغموض في الشعر العربي الحديث)، وزارة الثقافة، الجزائر 2007، ص274

[6] د.فتوح أحمد: (الرمز والرمزية)، دار المعارف القاهرة 1984 م ،ص112

[7] عز الدين ميهوبي : في البدء كان الأوراس، منشورات الشهاب باتنة 1985 ص8

أوْرَاسُ فَجّرني هواكِ ومَا درت هذه الضُلوع بأنَّ حمركُ مُلْهِم
فَجَّرْت من وَهج انفجارك آية مازال يذكرها لذكري البَلْسَمُ
إنّي بأقبية الذهول تَهـزُّني ذكرى كما هزّت بجذع مَريَمُ
أوراسُ مالك لا تَبُوحُ بمَا رأت عَينـاكَ أمْ أنَّ الملامحَ مَغنمُ

لجأ الشاعر إلى الأوراس لرسم صورة وتشكيلها، حيث اتخذ منه رمزا للوطن والثورة، والقوة والتحمت ذات الشاعر به ليجعل منه وسيلة لتجسيد بقايا حلمه في وطنه الجريح، فهو منبع هواه، ومنبع للثورة، ورمز نبعت منه رائحة التراب، هو مكان يمثل البطولة، والملامح التاريخية المعبرة عن انتصار الشعب وهو الذي يعبر عن أحاسيس الشاعر المعقدة، تنطوي ضمنه إيقاعات ذات وقع حزين من جهة، لأن واقعه مظلم لذلك استحضره وربط حاضره بالماضي الذي اتسم بالعظمة التي صنعها شعب مكافح مخلص للوطن ومن قصيدة أخرى نجد قوله: [1]

أوراس ....

جئتك مرتين...

وما عشقت سوى شموخك

أوراس ...

أ جئتك والعنادل في فمي

وقصائدي سكنت عيونك

إني سأرحل ....

كي أراك محاصرا

بمواكب الحب الكبير...

وكي أراك مسافرًا في المجد

[1] عز الدين ميهوبي : في البدء كان الأوراس، منشورات الشهاب باتنة 1985 ص17

إنه الأوراس رمز الشموخ الدائم، رغم الأشجان والمعاناة إلا أنه يرسم الأمل، يرسم الحلم والطموح وفي المقطع الآتي تلتحم الرموز لتشكل صورا متتالية ذات ايحاءات وايقاعات معقدة مصورة نفسية مثقلة بالأسى والهموم، حيث نراه يقول :[1]

من ثقب الباب يجيءُ اللّيل
وتطلع شوكة صبار سوداء بحجم
القبر المنسي بعيدًا
الّيل يجيءُ وحيدًا من نافذة الخوف المخبوء
يأتي الفرح الموبوء وهذا الّيل فجيعه

فصور الليل والخوف والسواد والقبر، كلها توحي وترمز للحزن، تنم عن حالة نفسية مظلمة وصورة الليل الذي يجيء وحيدا شكلت منافرة إنسانية إذ ظهر الليل في صورة إنسان يعاني الوحدة، والخوف هنا تبرز شخصية الشاعر التي تخرج عن نطاق العذاب والموت والحياة والهزيمة والانتصار لذا فالرموز تصب في حفل دلالي، متعلق بالمعاناة، نلمس كذلك الرموز الدينية والتاريخية في نصوصه كما في قوله : [2]

أنا عاشق الأرض
يا شاعري !
ولي قلب أيوب
يا ليت لي قلب أيوب

أيوب النبي الذي ارتبط ذكره بالصبر الطويل واتخذ منه الشاعر كرمز لتعلقه بالأرض وعشقه لها، مهما انتابها من أحداث، ومهما أصابها من أرزاء، والصبر يؤكد البقاء على العهد، والوفاء للوطن، والنضال الطويل لتحقيق النصر.

إضافة إلى الرمز نجد الأسطورة التي لا تخرج عن الشعائر الدينية والطقوس البدائية، فهي نتيجة اللّاوعي كما ذهب رينيه ويلك إنها قصة مجهولة المؤلف،

[1] عز الدين ميهوبي: كالايغولا يرسم غرنيكا الرايس، منشورات أصالة 1997 ، الجزائرص05.

[2] في البدء ص120.

تتحدث عن المنشأ والمصير ويفسر بها المجتمع ظواهر الكون والإنسان في صورة تربوية .[1]

وقد وظف الشعراء رموزا أسطورية مثل "سيزيف برومثيوس" "الخيام" "أوليس" "الحلاج" "طراودة" وغيرها ... والأسطورة كما عدها الفلاسفة مصطلحا مرادفا للشعر وهذا ما يبين أن الشعر لا يستغني عن الرموز الأسطورية باعتبارها "رؤية فنية رمزية" [2]

وتهدف الأسطورة إلى الإيحاء والكثافة الصورية وقد استفاد منها الشعر الحديث رمزا وبنية، ورؤية وهي ذات طابع إيحائي دلالي وجمالي وبهذا المفهوم تتفق مع مفهوم الشعر ، إن الشعر عدول عن المواضعة وإيغال في دائرة الاتساع ومن هذا الحدث تتبع الدلالة الايحائية لعلامات النص.[3]

والصورة الأسطورية بعث لدلالات جديدة في النص وعودة إلى الموروث التاريخي والشعبي، هي الملمح على الإحساس الجديد بالماضي إحساسا طاغيا، يفسر أزمة الإنسان الحديث في ظل الحضارة العلمية الصاخبة.[4]

فالأسطورة تئدي وظيفتها في القصيدة وهي ضرب من الرمز، تؤدي وظيفتها في القصيدة باعتبارها صورة شعرية ومما ورد في شعر عز الدين ميهوبي : [5]

من ثقب الباب

يطل غراب

عنقاءُ الموت تحط على شجر الليمون ..

الصمت جنون

فتتكسر الأجفان

لا غالب إلا الموت

---

[1] بنظر نظرة الأدب: رينيه ويلك ووارين ص 146

[2] الغموض في الشعر العربي ص 289

[3] عبد الله حسين البار: في الأسلوبية ط1 ، 2004 ص116

[4] غالي شكري: شعرنا الحديث إلى أين ؟ ط2 دار الآفاق الجديدة 1978 ص 132

[5] كاليغولا ص 06.

لا شيء سوى الغفران

وصمت الليل فجيعه

يبدو المقطع متنوع الانزياحات، يبدأ الشاعر بانزياح تركيبي في قوله " من ثقب الباب يطل غراب ... " هذه الخلخلة التركيبية تثير انتباه القارء وتشده حينما حطم الرتابة المألوفة متجاوزا التركيب المعياري المألوف المتمثل في الفعل+ التفاعل + المفعول به ..... إذ بدأ يشبه جمله + الفعل وهنا اختراق للمألوف لتحقيق غاية نفسية.

وبتتبع بقية الأسطر الشعرية نجد النص مشحونا بمعاني الخوف والرهبة والموت الذي غدا يشكل هاجسا أمامه وبالتالي فالوحدات المعجمية ذات حقل دلالي واحد، أما الصورة الأسطورية فتظهر في قوله " عنقاء الموت تحط على شجر الليمون " فطائر العنقاء " الذي هو طائر غريب " وجهه كوجه الإنسان وحجمه كبير لدرجة أنه يستطيع اختطاف فيل والتحليق به عاليا وهذا ليس بمستغرب استنادا إلى ماقيل في عدد أجنحته البالغة ثمانية، لذا يقال أنه عند طيرانه يسمع لأجنحته دوي كالرعد القاصف .[1]

ومن ميزة العنقاء "أنه لا يظهر إلا عند الغروب"[2] .

وهو ما يناسب الوعاء الزماني للنص، حيث كانت المظاهر التي تحدث عنها الشاعر تحدث في الليل، وتبدأ مع الغروب وهي تجربة لشاعر أحس بظلمة غمرته بسواد المظاهر، وألبسته ثوب المعاناة والألم.

ولا تزال صور الموت تلاحق الشاعر، وشعبه، فذكر البوم والجماجم، البكاء والقبر، والحفار وغيرها من مظاهر الأسى، كقوله :[3]

بكى الحفّارُ

القبر تعرّى

[1] هنا رضوان، الميثولوجيا عند العرب ، مجلة الفكر العربي المعاصر ع 89 ، 88 ماي جوان 1991 ص 70

[2] هنا رضوان، الميثولوجيا عند العرب ، مجلة الفكر العربي المعاصر ع 89 ، 88 ماي جوان 1991 ص 70

[3] كاليغولا، ص 22.

وحط البوم على الصبار
تساقط من عينيه جماجم عشرين عاما
وتنطفئ الأنوار
يبكي الحفار ....

والبوم طائر يكثر ظهوره في الظلام وهو رمز للتشاؤم منذ القديم، وهذا المعنى لا يزال متداولا في الأوساط الشعبية حيث يفسرون بها بعض المواقف المفجعة التي تواجههم، وهذه تفسيرات خرافية أسطورية لازمت الإنسان منذ زمن غابر.

والشعر الجزائري بصفة عامة حافل بمثل هذه الصور الأسطورية، ودواوين الشاعر عز الدين ميهوبي اشتهرت بغزارة رموزها، حتى أنه أبدع ديوانا كاملا في شكل أسطورة على منوال الإغريق، وميثولوجياتهم ، فقصيدة "طاسيليا" قبسة من أساطير اليونان القديمة، إنها تشكل القصيدة الديوان في حد ذاته تشكلها أصوات مسرحية أسطورية، في ثوب ميثولوجي، تأخذ عناوين وأسماء أبطالها من الطبيعة شخصياتها مزيج من الآلهة والبشر، أخذت شكل المسرح في مضمونه وشكله، والأسطورة عادة ما تعمل صراعا بين الحب والكراهية، الحرب والسلم، الحياة والموت.

تبرز شخصية "طاسيليا" التي تمثل المرأة التي يتصارع من أجلها الرجال، و"غيلاس" و "يونيسا" العرافة وشخصية " أنزار" والعراق، أما مسرح الأحداث فهو أرض نوميديا، يبرز الراهب على ربوة حاملا عصاه، ينشد شيئا عن البرق والبحر والماء، يليه "غيلاس" الذي يظهر أنه الراعي العاشق لطاسيليا، ولا تظهر هذه الأخيرة على المسرح إلا بعد صوت "يونيسا" العرافة التي تبشرهم بمجيء "أنزار" سيد الماء والرياح والأمطار والموت، وهو المنافس ل"غيلاس" في الحصول على "طاسيليا"، ووضع هذه الأخيرة أمام الأمر الواقع، إما أنها تبقى مع حبيبها "غيلاس"، فتهلك "نوميديا" أو أنها تضحي بحبها فتنقذ "نوميديا" من العطش

وبالتالي تقدم نفسها كقربان لأنزار وهو بدوره يتكرم على الأرض باماء وفي النهاية ينتصر الحب وهذه الفكرة أقرها أنزار ذاته، وفيما يلي مقطع من القصيدة:[1]

الراهب على ربوة بعصاه
عينان من البلور الأبيض
يا للبرق يخبئ نجمه
هذي الطفلة
وألواح النار
يطلع من شفة الأشياء
إله...
ومن البحر المنسي شفاه
ومن النسيان يخرج الملح
وتكبر في اللقة الأسوار
هل يأتي اليوم إله الماء
ويخرج من دمه أنزار
غيلاس :
يا قمري السهران
هل تسمع صوتي ؟
أنا غيلاس الراعي

القصيدة تعد أسطورة في حد ذاتها تلتحم بنفسية المبدع صورة ورمزا، تجسد الصراع القائم دوما بين الحب والكره، الموت والحياة، وقد أظهر الشاعر أن الحب لا تختلف أهميته عن أهمية الماء، والموت في حد ذاته تحكمه سلطة الماء والحب.

[1] عز الدين ميهوبي: طاسيليا، منشورات دار النهضة العربية، بيروت 2007.

فتداخلت أنماطا مختلفة في بناء القصيدة الأسطورة أهمها السردي والوصفي والحواري، في شكل أحداث وشخصيات وهنا تكمن جمالية النص وفنيته إذ لم يتسنى للشاعر إلا سبيل الصورة الرمزية التي تثير في نفسية المتلقي حالة متشابهة عند تفاعله مع تلك الصورة بشكل مناسب. [1]

[1] الرمز والقناع: في الشعر العربي الحديث، ص 32

المصادر والمراجع:

ا– المصادر :

عز الدين ميهوبي :

1. في البدء كان الاوراس منشورات الشهاب باتنة الجزائر1985.
2. طاسيليا: منشورات دار النهضة العربية بيروت لبنان 2007.
3. كاليغولايرسم غرنيكا الرايس منشورات أصالة الجزائر1997 .

ب– المراجع :

4. إبراهيم رماني الغموض في الشعر العربي الحديث . وزارة الثقافة الجزائر 2007.
5. بشرى موسى صالح. الصورة الشعرية في الشعر العربي الحديث. ط1980.4.
6. عبد الله حسين البار: في أسلوبية النص ط1 2004م .
7. غالي شكري.شعرنا الحديث الى اين . دار الأفاق الجديدة ط2 1978م .
8. فتوح احمد . الرمز والرمزي . دار المعارف القاهرة 1984م.
9. محمد عبد المطلب .قراءة أسلوبية في الشعر العربي الحديث . الهيئة المصرية العامة للكتاب 1995م.
10. محمد علي الكندي .الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث .دار الكتاب الجديدة ط 1 مجلد 1 2003م.

ج– المراجع الأجنبية

11. رينيه ويلك ووارين . نظرية الأدب. ترجمة محي الدين صبحي و حسام الخطيب المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب دمشق1972م .

د– المجـلات

12. هنا رضوان: الميثولوجيا عند العرب. مجلة الفكر العربي المعاصر عدد 88–89 ماي جوان 1991م.